OPEN ACCESS JOURNALS
Indiana Journal of Multidisciplinary Research
Abbriviate Tittle- Ind J Multi Res
ISSN *(Online)*- 2583-3820
Journal Homepage Link- https://indianapublications.com/Journals/IJMR

INDIANA PUBLICATIONS
PRODUCTIVE AND QUALITY RESEARCH

Review Article

Volume-05|Issue-04|2025

دراسة أسلوبية لرائية الشيخ إبراهيم انياس

Dr. Habibu Abubakar Yagawal

Lecturer, Sokoto State University, Sokoto -Nigeria

Article History
Received: 25.07.2024
Accepted: 20.08.2024
Published: 25.04.2024

Citation
Yagawal, H. A. (2025). دراسة أسلوبية لرائية الشيخ إبراهيم انياس. *Indiana Journal of Multidisciplinary Research, 5*(4), 1-6.

Abstract: Among the key pursuits of stylistics are discovering the styles in which a literary figures weave their literal work, the molds into which they pour their expression, uncovering the method the writer uses to convey their stances, and clarifying their distinct literary personalities This is especially true when focused minds are employed to deconstruct rich ideas and analyze symbolic expressions.
This article is an attempt to present a stylistic study that draws upon all that is new in the field of linguistic studies, in order to deconstruct the ideas and symbols inspired by the creative genius of the 20th century poet of West Africa, the prominent literary figure, His Eminence Sheikh al-Islam, Sheikh Ibrahim Niasse, in one of his poems that emerged from his passionate emotions.
The study will proceed through:
A - Phonological Level
B - Syntactic Level
C - Semantic Level

المدخل

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وأصحابه أجمعين
إن التعرف على المنوال الذي ينسج فيه الأديب تراكيبه والقوالب التي يفرغها فيه، والكشف عن الطريقة التي يستعملها الكاتب في التعبير عن مواقفه، والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، لمما تسير إليه الأسلوبية السير الحثيث وذالك حين توظف الأذهان المحددة لتفكيك الأفكار الخصبة وتحليل الرموز الواحية.

فهذه المقالة محاولة لتقديم دراسة أسلوبية تستعين بكل ماجد في حقل الدراسات اللسانية لتفكيك تلكم الأفكار والرموز التى أوحت بها قريحة عبقري القرن العشرين وشاعره في غرب إفريقيا، الشخصية الأدبية البارزة فضيلة شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم انياس في أحد قصائدة التي تفتقت من عاطفته الجياشة.

فالدراسة تكون خلال ثلاث مستويات بعد التعرف بالأديب:
أ - المستوى الصوتى
ب- المستوى التركيبي
ت- المستوى الدلالي

Keywords: The prominent literary figure, Eminence Sheikh al-Islam, Sheikh Ibrahim Niasse, Poems, Passionate Emotions

Copyright © 2025 The Author(s): This is an open-access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (**CC BY-NC 4.0**).

التعريف بالشيخ إبراهيم انياس

ولد بطيبة انيسين بإقليم سين سالم في الجنوب السنغالي عشية الخميس 15 من شهر رجب.عام 1320 ه 1900 مـ أو 1318هـــ - 1898مـــ[1]. ورضع حولين كاملين من والدته السيدة عائشة رضي الله عنها. وفي السادسة من عمره بدء حفظ القرءان عند والده وختمه برواية ورش قبل العاشرة من عمره. ثم تعلم ماشاء الله من العلوم عند والده، بعد ما حفظ القرءان وواصل بالمراجعة والمطالعة،كما يقول في كاشف الإلباس "وتولى تربيتي وتعليمي والدي المذكور وقد تلقيت منه بحمد الله فرائد الفوائد وصلات الأسرار والأذكار..." وبدأ يفسر القرءان في السنة الخامسة والعشرين من عمره رضي الله عنه. ويقال إنه رغب في اللغة الفرنسية إلا أن والده لم يوافقه على تعلمها.

"وقد ذاع صيت الشيخ إبراهيم في العالم داعية إسلاميا وزعيما روحيا لعشرات الملايين من المسلمين. وافته المنية عام 1975م عن خمسة وسبعين عاما....."[2].

أما شعره فكما يقول الدكتور مقري:
"فمن الطراز القوي حيث أصدر خمسة عشر ديوانا جلها في المديح النبوي، جُمع أكثر هذا الشعر في مجموعتين هما الديوان (1979) وجامع جوامع الدواوين (1978). وقد توزعت هذه الأشعار في كافة أطوار حياة الشاعر حيث ظل يقرض الشعر منذ العقد الثاني من عمره حتى آخر لحظة من حياته[3]".

نص القصيدة:

سرى لي طيف من أميمة زائر * وباكرني وجد على الجسم ظاهر
تبدت فهام القلب من رق ثغرها * وورد خدود والعيون فواتر
وإنهما لساحران تظاهرا * ففلبي أمالا والدموع بوادر
ولاتعجبوا من صبوتي بعد كبرتي * فقد صب للحسناء قبلي أكابر
ولكن خيال حسن تيا فمن لنا * بحسن قبيل الكون والحسن آخر
بحسن جميع الحسن ألباسه وذا * ك ما ناله إلا المفضل حاشر
بكون جمال قد تستر جملة * وظاهره فالحسن بطن وظاهر

ليعلم رسول الله أني أحبه * وذاك أمان يوم تبلى السرائر
ويعلم أني قبل موتي أزوره * و إن نأت الأقطار تطوي المقادر
ومن قبل روحي كل وقت يزوره * بقى نوبة الأشباه والله قادر
نبي سقانا بالعلوم ألا له * فللقلب فيض كالأنامل زاخر
نبي هدى بالحق كل موفق * وبالسمهري السهم يركع كافر
نبي أتانا منه وابل رحمة * ففي مدحه يشدوا ويطر ب شاعر
أنظم در اللفظ في وصف ذكره * فتزداد حسنا بالنظيم المفاخر
وألتمس البذل الجزيل بفضله * فكثر ولا يله الفؤاد التكاثر[4]

أ- المستوى الصوتى

فالدراسة في هذه المستوى تسعى إلى استجلاء خصائص البنى الصوتية في رائية الشيخ إبراهيم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بغية الكشف عن ما يتضافر تحتهما من الحشد الجمالي والتكثيف الدلالي. ولاغرو "فإن الشعر هندسة حروف وأصوات نعمر بها في نفوس الآخرين عالما يشبه عالمنا الداخلي. والشعراء مهندسون، لكل منهم طريقه في بناء الحروف وتعميرها."[5]

الوزن والقافية

فإن استحقاقية الوزن بعناية هذا بحث تاتي من حيث أن اللغة العربية " لغة الوزن في أصلها ومنشإها وفي معناها ومبناها كما أنها لغة التوافق الصوتي والإيقاعي."[6]

البحر

وردت هذه القصيدة في البحر الطويل وسمى بهذا الاسم لأنه " طال بتمام أجزائه". وهو شائع لا في الشعر العربي القديم فحسب بل حتى في الشعر الحديث. وتبلغ مقاطعه ثمان وعشرين ولذا يعطى إمكانيات للسرد ، وللبسط القصصى. يقول الشيخ إبراهيم انياس معبرا عن ما يعانيه من عاطفة مفئمة بالشوق في البحر الطويل:
تحتوي هذه القصيدة على خمسة عشر بيتا على البحر الطويل مقبوض العروض والضرب. ويكون تقطيعها العروضي كما يلي:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن.

فالأبيات السابقة تحتوي مائة وعشرين تفعيلة كاملة كلها ما فيها مجزوئة ولا مشطورة ولا منهوكة. وإن كان فيها بيت مدور واحد. أصاب خمسا وثلاثين منها زحاف القبض وهو عبارة عن حذف خامس التفعيله متى كان ساكنا وثانى سبب[7]. فحول "فعولن" إلى "فعول" و"مفاعيلن" إلى "مفاعلن" ونوعها إلى أربعة أنواع "فعولن" و"مفاعيلن" ثم بديليهما "فعول" و"مفاعلن" ولعل الشاعر عمد إلى هذا الإنزياح العروضي ليلون الإيقاع وينوع الصوات بما شأنه إيجاد نغمة إيقاعية تتناسب مع غرضه الشعري، اذ تغلب على الشاعر انفعالات الحب والشوق إلى ممدوحه صلى الله عليه وسلم فسببت له عاطفة مضطربة ينقبض النفس من أجلها، فتنقبض معها التفاعيل. ولقد ثبت في علم النفس "أن الإنسان حين يملكه انفعاله تبدو عليه ظاهرات جثمانية كاضطراب النبض وضعف الحركة أو قوتها وسرعة التنفس أو بطئه أو حركة الأيدي قبضا وبسطا دليلا على ما في النفس من قوة قوية "[8] " فبموسيقى الشعر تقول الكلمات ما لا تقول لو لم تنظم تحت هذا النظام المسمى بالوزن، والذي له القدرة على نقل روح الشاعر، أو جزء منها، تلك الروح التي قد يصعب على الألفاظ نقلها.[9]

القافية

فهي عبارة عن عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكررها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة،[10] هذا التردد الذي طالما يوظفه الشاعر لغرضه الشعري. وللقافية سمات خاصة تتعاضد فيما بينها لتكثف الدلالة في النص الشعري ومن أبرز هذه السمات حرف الروي وحركته. وأدرك الباحث أن الشاعر في هذه القصيدة:

سرى لي طيف من أميمة زائر * وباكرني وجد على الجسم ظاهر
تبدت فهام القلب من رق ثغرها * وورد خدود والعيون فواتر
وإنهما لساحران تظاهرا * فقلبي أمالا والدموع بوادر
ولاتعجبوا من صبوتي بعد كبرتي * فقد صب للحسناء قبلي أكابر

وظف القافية المطلقة المؤسسة الموصولة بالواو واختار "الراء" رويا وهي من القوافي الروائع الذلل[11]. فساعده بالتأسيس والوصل في مثل (ظاهرُو، فواترُو، بوادرُو وأكابرُو) على امتداد نفَسه وهذا شأن من ملكته انفعالاته وهمَّمته أشجانه، على أن الشعر العربي قائم على العاطفة والشعور فإن انتقاء الحروف والقوافي لا يأتي به الشاعر عبثا بل هي دلالات يشير عبرها عن وهموم نفسه أو مشاعره الجياشة أو أفراحه المزغردة. والوصل كما يقول الأستاذ أحمد الشايب[12] علامة الراحة وحسن الإنتهاء، فوظف التأسيس والوصل ليدل دلالة أكيدة على آهة الحب وزفرة الشوق في روحه فأراد أن تنطلق لعل ما في بعض نفسه يتبرد.

حركة الروي

فأما الضمة فهي حركة تشعر بالأبها والفخامة وشعراء الفخامة يميلون إلى الضم.[13] وزادها الأبها أن جعل الدخيل مشبعا بالكسرة فانتقل منها إلى الضمة. ومما منح القصيدة نغمة رائعة وموسيقى متميزة وزاد التلاحمَ بين أبيات القصيدة التناسبُ في حركات المقاطع الصوتية الثلاثة الأخيرة لكل بيت كما في (ظَا/هِ/رُو، وَا/تِ/رُو، كَا/بِ/رُو). فبقدر مايكون فيها من حروف او حركات ملتزمة يكون لها من إيقاع موسيقي متميز ، كما أنها تضبط المعنى وتحدده ، وتشد البيت شدا قويا بكيان القصيدة العام ولولاها لكانت محلولة مفككة[14]

وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك، لان بنية الشعر إنما هو التسجيع والتقفية، فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر[15].

التكرار

وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها،"[16] وذالك "لأثره في توهج النصوص بملامح التجربة الشعرية، إذ أفادته في توكيد المعنى الذي ألح الشاعر على إظهاره، فضلاً عن الترجيع الموسيقي ضمن الأبيات والنصوص."[17]... فحرف الراء بما فيه من الجهر والتكرار يناسب الموقف حين يتكرر في القصيدة

أربعين مرة بل ساعد على زيادة النغم الصوتي. ويتبين أن الشاعر يختار ترديد الصوت إحدى عشرة مرة في الأبيات الثلاثة الأولى وهو يردد ذكرى زيارة حِبّية من طيف محبوبه الذى رمز إلية بأميمة. علاوة على ماسبق، فإن القصيدة تحتوي 82% من الحروف المجهورة "وهي تهزز الوترين الصوتيّين، بمرور الهواءِ المستخرج من الرئتين في أثناءِ إنتاج ها، يُضيفُ حركة جديدًة إلى حركاتِ الجهاز النطقيّ المصاحبةِ لإنتاجها، والتي تُحْدث، بدورها، الأمواجَ الصوتيّة، والزيادُة في الحركةِ تستوجبُ زيادَة الأمواج، وزيادُة الأمواج تستوجبُ زيادًة في قوّةِ النطق، وزيادًة في الوضوح السمعيّ. لذلك يكونُ الصوت المجهور، الذي هذه سمته يحملُ ملمحَ قوّة....."[18] إنما تعمَّد الشاعر تكثيف هذه الحروف لتترجم ما يعانيه الشاعر من الشعور القوي تجاه ممدوحه صلى الله عليه وسلم. "والصوت حين يتكرر يمثل وسيلة بلاغية تعمل على تصوير الموقف وتجسيمه، فضلاً عن الإيحاء بما يدل عليه ذلك الصوت ضمن الألفاظ من خصائص صوتية وطاقة تنغيمية مما يساهم في إبراز المعنى المراد"[19].

ونلاحظ في قول الشاعر:

ليعلم رسول الله أني أحبه * وذاك أمان يوم تبلى السرائر
ويعلم أني قبل موتي أزوره * وإن نأت الأقطار تطوي المقادر
ومن قبل روحي كل وقت يزوره * بقى نوبة الأشباح والله قادر

إختيار الشاعر إلتزام صوت الـ"هاء" المهموس الموصول بالضمة آخر صدر كل من الأبيات السابقة كما في القاقية وتعاضده مع المدود والليون التي كررها في الحشو ليسهل التصريح بما وقر في قلبه من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم" فخير الموسيقى ما يتمشى مع الأفكار وتتسابق مع المعاني وتتجاذب نغماتها ونبراتها مع حالات النفس"[20]

كما نلاحظ التجمع الصوتي في قوله:

ولاتعجبوا من صبوتي بعد كبرتي * فقد صب للحسناء قبلي أكابر
ولكن خيال حسن تيا فمن لنا * بحسن قبيل الكون والحسن آخر
بحسن جميع الحسن ألباسه وذا * ك ما ناله إلا المفضل حاشر
بكون جمال قد تستر جملة * وظاهره فالحسن بطن وظاهر

ردد الشاعر مادة "حسن" ست مرات في ثلاثة أبيات ما بين منكَّر ومعرَّف ليعزز العواصر الترابطية بين الأبيات أولا ويستعين بتكرر الصوت على إحداث نغمة تبين انفعالاته مع المحبوب الذي أصباه حسنه بعد الكبر فلم يمتلك نفسه حتى جعل يردد هذا الحسن وكاد أن لايفوه إلا به إعجابا به وتنويها بذكره وعناية به وليثير نفس الشعور في المتلقي بالتكرار. والحسن عبارة عن كل مستحسن مرغوب،.... وأكثر ما جاء في القرآن في المستحسن من جهة البصيرة[21]. وقد سبق أنْ ذَكَرَ بعض ما شاهده من هذا الحسن رامزا، ثم بدا له أن الرمز لا يفي بما يريده فاعرض عنه. وهو من قبيل التكرير الذي وصفه ابن الأثير بأنه أبلغ من المجاز لأنه يقرر في النفس ما عند الممدوح من هذه الأوصاف المذكورة[22]

ليعلم رسول الله أني أحبه * وذاك أمان يوم تبلى السرائر
ويعلم أني قبل موتي أزوره * وإن نأت الأقطار تطوي المقادر

يستأنف الشاعر حاذفا سؤالا مقدرا فكأن سائلا قال " لم تحبه ؟ أو ما فائدة هذا الإعلان؟ فستأنف موظفا "الواو" لكون الجملة الثانية إجابة لسؤال ناشئ من الجملة الأولى فكان بين الجملتين شبه كمال الإتصال وهو من أسباب الوصل بين الجمل.

وكان يتوقع من السامع أن يشك في جملته التي في صدر البيت الثاني وهو أنه سيزور ممدوحه صلى الله عليه وسلم قبل موته فبادر المتلقي بالإجابة قبل السؤال

المستوى التركيبي

ترمي المقالة في هذا المستوى إلى دراسة البنى التركيبية في القصيدة واستجلاء كيفية تضافرها وتبيُّن الطرائق التي تتعالق بها مكونات النص فيدرس تماسك البنى الأسلوبية واتساقها التجوزات التركيبية التي يميل إليها الشيخ لغرض تواصلي والسر الذي صخيتطوي تحتها.

حضور الأسماء والأفعال

هنا تحاول المقالة الوقوف على الدلالة الإيحائية للتجمعات الاسمية أو الفعلية في هذه القصيدة وربط هذا التجمع بالمعانى التى يسعى الشاعر إلى التعبير عنها. فإن جملة الصيغ المستخدمة تبلغ 203 صيغا. وتحتل الصيغ الإسمية ما ينيف على نصفها إذ تبلغ 104 صيغ مستخدمة في القصيدة النسبة التي تعدل 51% من جملة الصيغ المستخدمة. وهذه النسبة تمثل حالة الشاعر من المحبة الدائمة والصبوة المستمرة تجاه ممدوحه صلى الله عليه وسلم. ولذا يعلل هذه الصبوة بعد الكبر قائلا :

ولاتعجبوا من صبوتي بعد كبرتي * فقد صب للحسناء قبلي أكابر

وكان من قوله في قصيدة أخرى:

أتاني هواه قبل أن أعرف الهوى * .....

فالصيغ الإسمية "بمختلف أشكالها تعطي دلالة الاستقرار والاستمرار والثبات على وضع معين،..... إن الذي يمنح النصوص الأدبية المتوفرة على عدد كبير من الأسماء دلالة الثبات والاستقرار هو غياب عنصر الزمن فيها "[23] فنسبة حضور الفعل في القصيدة على اختلاف أزمانه يمثل 14% النسبة التي تبعد الإستئناف والتأثير الزمني في ما كان عليه الشاعر.

التقديم والتأخير

هو بابٌ كثيرُ الفوائد جَمُّ المحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية . لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ ويُفضي بكَ إلى لطيفةٍ . ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مسمَعُه ويَلْطُف لديك موقعُه ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقك ولُطف عندك أن قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان[24]

يقول الشيخ موظفا هذه التقنية التقديم والتأخير:

سرى لي طيف من أميمة زائر * وباكرني وجد على الجسم ظاهر

فإن من الأبعاد التي يسعى إلى تحقيقها المحلل الأسلوبي كشف الروابط التي تربط بين الإنزياحات التركيبية وحالة الشاعر الوجدنية. والتأمل الدقيق في البيت السابق يمثل ما تراكم على الشاعر في حادثته الليلية الشيئ الذي شتته شذر مذر بعد ما هيم قلبه وأماله، ولا غرابة إن فصل الشاعر بين المسند والمسند إليه بالجار والمجرور في قوله: "سرى لي طيف"، وبين الصفة والموصوف في: "طيف من أميمة زائر"، وفي قوله "وجد على الجسم ظاهر". ففاجأ المتلقي ب "ليَ، و "من أميمة" و "على الجسم" ليؤكد أن زيارة الطيف لم تكن إلا له وإليه ولم يكن الزائر إلا الحضرة المحدية التي رمز إليها باسم " أميمة"[25] فسببت له الزيارة وجدا ملكه حتى ظهر على جسمه. وهذا الإنفعال جعل الشاعر يتسرع إلى كل ما يؤكد قربه إلى ذالك الزائر وإلى كل ما ينفي وجود غيره معه.

ليعلم رسول الله أني أحبه * وذاك أمان يوم تبلى السرائر
ويعلم أني قبل موتي أزوره* و إن نأت الأقطار تطوي المقادر
ومن قبل روحي كل وقت يزوره* بقى نوبة الأشباه والله قادر

وفي البيت الثاني إلتمس الشاعر زيارة ممدوحه صلى الله عليه وسلم قبل موته ولم يجعل الطلب صريحا لقوة رجائه في تحصيل المطلوب بل جعله بصيغة إخبار واعلان ولما كان رجائه أن يتحقق له المرام قبل وفاته فصل بين إسم إن و خبرها باظرف"قبل موتي"الذي يفيد أن غاية الشاعر حصول الزيارة قبل وفاته ونفي كون مطلوبه حصول الزيارة ولو بعد الممات. فإن خرق القوانين المألوفة ضمن له هذه الدلالة لأنه لوكان التركيب "ويعلم أني أزوره قبل موتي" لجاز "وبعد موتي". و"أزوره" بصيغتي فعل مضارع لإفادة الإستمرار والتجدد.

وفي البيت الثالث تعاون الشاعر مع نفس التقنية (التقديم والتاخير) ليفيد أن روحه لا يزال في كل وقت يزور الممدوح صلى الله عليه وسلم فأسرع إلى الظرف "كل وقت" لينافي ما يتوقعه المتلقي أنه ربما تكون زيارته الروحية أحيانا وكذا وظف المضارع ليفيد تجدد الزيارة واستمرارها.

النكرة والمعرفة

ليعلم رسول الله أني أحبه * وذاك أمان يوم تبلى السرائر
ويعلم أني قبل موتي أزوره* و إن نأت الأقطار تطوي المقادر
ومن قبل روحي كل وقت يزوره* بقى نوبة الأشباه والله قادر
نبي سقانا بالعلوم ألا له * فللقلب فيض كالأنامل زاخر
نبي هدى بالحق كل موفق * وبالسمهري السهم يركع كافر
نبي أتانا منه وابل رحمة * ففي مدحه يشدوا ويطر ب شاعر
أنظم در اللفظ في وصف ذكره * فتزداد حسنا بالنظيم المفاخر
فتكرير ذكر الممدوح هنا تنويهٌ به، وإشادة بذكره، وتفخيم له في القلوب والأسماع.

فردد الشاعر ذكر ممدوحه ما بين صفته المصرح بها والمضمر خمس عشرة مرة وصرح بصفته أربع مرات ثلاث منها نكرات وعرَّفها مرة واحدة. ثم ردد ذكر ضمائره ما بين والمتصلة والمقدرة عشر مرات، خمسة منها مقدرة وستة متصلة ويتعاضد الشاعر مع هذه الكثرة لينوه بذكر ممدوحه ويثبت وجوده في القلوب وذالك "أن الضمائر أعرف المعارف وألصق بالإنسان وأدلها على معناه"[26]

وردد لفظ "نبي" ثلاث مرات في الأبيات الرابع ، الخامس والسادس منكرة ليفاجئ المتلقي بالعمومة والإطلاق والشيوع التي تفيدها النكرات وذالك أنها "هي الجذر المعنوي الأول لكل مادة ونستطيع في الوقت ذاته أن نطلقها على أي فرد من فروع المعني الذي تلته"[27] فعبر بالنكرة ليترك المجال رحبا للمتلقي ليتصور مدلولها بحسب الموقف على الإشادة به صلى الله عليه وسلم

الخذف والذكر

المستوى الدلالي:

"إن الكشف عن القضايا الأسلوبية ضمن النص يؤكد قدرة المبدع على تطويع اللغة لتتناسب تماماً مع ما يريده من معنى فيعمد لتنويع خطابه الشعري بالتجوزات المقصودة".[28] فتنقاد له هواجسه لصياغة تراكيب جديدة تتمشى معها. ومن هذه المزايا التي وظفها الشاعر والتي تحمل في طياتها وظائف أسلوبية تكسب النص سمته الشعرية: التشبيه، والإستعارة، والكناية.

دلالة الصور التشبيهية

إن من عادة التشبيه أن أن يرفع قدر المعنى ويزيده وضوحا ويكسبه تاكيدا ويبرز المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد ويكسبها قوة وتأثيرا وذالك حين يدني بالقصي ويصور المحسوس ملموسا.

ولقد حقق الشيخ إبراهيم غرضا تواصليا بواسطة التشبيه المؤكد حيث يقول:
وإنهما لساحران تظاهرا * فقلبي أمالا والدموع بوادر
ولاتعجبوا من صبوتي بعد كبرتي * فقد صب للحسناء قبلي أكابر

فالشاعر في البيت الأول حصَّل المطابقة التامة بين المشبه والمشبه به حيث أذاب جميع الحواجز المادية والمعنوية ليدهش المتلقي ويفاجئه بأن ما هيَّم قلبه لم يكن مجرد العينان بل قوة السحر في كلتتي هما على حدته فتعاونا على الشاعر للهيمنة عليه. فهو بالتشبيه يفاجئ المتلقي بصورة شيخ حليم كبير السن لا يصبو مثله في العادة، ولا يكفي لإمالة قلبه مجرد الرشاقة الجمالية ولا ساحر واحد، لقوة رزانته فتظاهر عليه الساحران. والذي أمال قلب الشاعر وفجَّر دموع عينيه لم يكن مجرد عينين بل يؤكد أنه خارج من حيز السذاجة إلى السحر. كما لا يخفى على المتلقي ما يحمله التأكيد بإن واللام بعدها من إثبات دعوى الشاعر بعد حذف وجه الشبه وأداة التشبيه وبه ينجح الشاعر المبدع في نقل تجربته الشعرية للمتلقي.

ثم عقب هذه الصورة التشبيهية بصورة أخرى ضمَّنها علة صبابته بعد كبره. فأخرجها عن الصور التشبيهية الأصلية ليعمِّق الأواصر الترابطية ضمن النص ويجعل منه كياناً واحداً، فعمل على خرق المألوف من العلاقات اللغوية ليثير القارئ ويحفز ذهنه ليتجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة التي تمثل أحاسيس المبدع ورغباته، وليدل دلالة أكيدة أن صبابته وميل قلبه وزرافة دموعه لم يكن بدعا منه بل صب قبله "أكابر" فجاء به منكرا لأن التنكير إطلاق والتعريف تقييد،

واطلاقه يدل على صلاحية أي فرد من جنس الكبار للصبابة إلى مثل ما سباه. ومن مزايا هذه الصورة إقامة الدليل والبرهان على الحكم الصادر علىمشبه وذلك لتأكيد هذا الحكم ، وتأثيره في نفس المتلقي وذلك لمجيئه خفياً غير مصرحٍ به مما يساعد في إعمال العقل والفكر.

ويقول الشاعر
نبي أتانا منه وابل رحمة * ففي مدحه يشدوا ويطرب شاعر
أنظم در اللفظ في وصف ذكره * فتزداد حسنا بالنظيم المفاخر

يصور الشاعر بين يدي المتلقي الخيرات التي تدفقت على أمته صلى الله عليه وسلم وابلا من رحمة تصيب أمته فتؤتي أكلها ضعفين وعزز العلاقة بين طرفي التشبيه أن جعلهما متلازمين فأذاب الفواصل بينهما وجعل منهما كيانا واحدا. كأنه يردد للمتلقي قول الله سبحانه وتعالى "وما أرسلنك إلا رحمة للعالمين".

كما شبه في البيت الثاني ألفاظه بالدرر وهي أعلى وأغلى الملموسات فشبه ألفاظه المديحية مصورا أنها أعلى وأغلى المعنويات فأكد العلاقة بين طرفي تشبيهه وجعلهما متلازمين كما فعل في السابق.
يبدو أن الشاعر يفضل من التشبيهات التشبيه البليغ وذالك نعم أن "التشبيه يزداد بلاغة عندما تزال جميع الحواجز المادية والمعنوية بين المشبهوالمشبه به فتحصل المطابقة التامة بين الأول والثاني،وتحصل بعد ذلك الدهشة والمفاجأة لدى المتلقي، لينجح بعد ذلك كله ذلك المبدع المرسل نجاحا باهرا في نقل تجربته الشعرية إلى المتلقي الذي يشعر بجمال الشكل والمعنى معا وذلك من خلال الإيجاز في المعنى، والاختصار في الشكل"[29].

دلالة الصور المجازية

يقول الشيخ إبراهيم:
سرى لي طيف من أميمة زائر * وباكرني وجد على الجسم ظاهر
تبدت فهام القلب من رق ثغرها * وورد خدود والعيون فواتر

فالتحليل الأسلوبي للأبيات السابقة يوكد ما ذهب إليه البلاغيون " أن المجاز من أدق أساليب البيان تعبيرا، وأرقها تأثيرا، وأجملها تصويرا، وأكملها تأدية للمعنى."[30] فوظف الشاعر استعارة تصريحية تبعية في البيت الأول حيث استعار لفظ "باكرني" على وزن "فاعل" المشتق من "البكرة" وذالك أن الوجد اصطبحه بكرة يومه فصوره إنسانا يباكره واختار الشاعر صيغة "فاعل" لأنه يصلح للمبالغة وتكثير الفعل.[31] ومن بلاغة الإستعارة أنها تجسد المحسوس لتقربه إلى المتلقي وقد فعلت،

وفي البيت الثاني أعمل العلاقة الجزئية في "هام القلب من رق ثغرها" لأن الهائم هو صاحب القلب وهو الشاعر وليس القلب نفسه والتعبير بالقلب أدل على التهيام من غيره وذالك أن "القلب لطيفة ربانية .وهي حقيقة الإنسان.... وهي المدرك والعالم من الإنسان والمخاطب والمطالب والمعاتب"[32]. يقول ابن الأثير "واعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فإن كان لا مزية لمعناه في حمله على طريق المجاز فلا ينبغي أن يحمل إلا على طريق الحقيقة لأنها هي الأصل والمجاز هو الفرع ولا يعدل عن الأصل إلى الفرع إلا لفائدة[33]

دلالات الكناية

إنه لمما يحشد الدلالة في العملية التواصلية التوسّل إلى معنى بذكر معنىً آخر من شأنِهِ أن يردُفَه في الوجود وأن يكونَ إذا كانَ، وذالك حين يريد المتكلمُ إثباتَ معنىً من المعاني فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللّغة ولكن يجيءُ إلى معنىً هو تاليهِ وردفُه في الوجودِ فيومىءُ به إليهِ ويجعلهُ دليلاً عليه "[34] فقد أجاد الشيخ إبراهيم استعمال الكناية عند مايذكر هيام قلبه بأفانين الجمال من رق الثغر وحمرة الخد وفتور العينين حيث يقول:
تبدت فهام القلب من رق ثغرها * وورد خدود والعيون فواتر

فالشيخ في هذ البيت يكني بعدد من صفات عن موصوف واحد. فرق ثغر وورد خد وفتور عين كنايات عن الجمال الذي شاهده ، وكان لو قال "فهام القلب من جمالها او من حسنها لما وجد المتلقي ما يجده لأن الحسن عام ففصله جعل لكل واحد منها دوره. والكناية أبلغ من التصريح لأنها تأتيك بالمعنى مصحوبة بالدليل ليكون أوقع في النفس.

الخاتمة:

تناولت المقالة رائية الشيخ إبراهيم بالدراسة الأسلوبية، مهدلها الباحث بالوقفة اليسيرة على حياة الأديب وشاعريته. وبين أن الأديب ظل متمتعا بموهبته الشعرية منذ العقد الثاني من حياته إلى آخر لحظة منها. كما وضح أن معظم انتاجاته الشاعرية مجموع في مجموعتين. ثم تناول القصيدة بالدراسة. ويتبين للواقف على المقالة كيف لون الشاعر إيقاته لتناسب أغراضه الشعرية وساعدته قوافيه على التاثير، كما تبين أن ارتفاع نسبة الصيغ الإسمية على غيرها كان لنكتة بيانية، وكذالك كان يميل الشاعر إلى التشبيه البليغ لقوته التي يكسبها من إذابة جميع الحواجز بين طرفي التشبيه. هذا واستطاع الشاعر أن يطوع مختلف أساليب التراكيب لأغراض تواصلية، مما يبرهن على قوته الشعرية.

الهوامش والمراجع

القرءان الكريم

[1] محمد بن عبد الله ابن السيد ابن اكتوش من أخبار الشيخ إبراهيم الدار البيضاء ط الأولى 2004 ص 26.
[2] إبراهيم أحمد مقري (الدكتور) الإيحاء وتوجيه الدلالة: شعر الشيخ إبراهيم انياس الكولخي نموذجا ص5
[3] المرجع السابق
[4] إبراهيم انياس (الشيخ) جامع جوامع الدواوين جمعه الشيخ بلاربي جيغ ط طنجنجري ص9
[5] حسني عبد الجليل (الدكتور) موسيقى الشعر العربي الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989م ص 17
[6] حسني عبد الجليل (الدكتور)السابق 12
[7] علاء الحمزاوي (الدكتور) السابق ص27
[8] أحمد الشايب (الأستاذ) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول أساليب الأدبية الطبعة الثامنة 1991مـ مكتبة النهضة المصرية ص66

[9] ياسر أحمد فياض (الدكتور) البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي مجلة جامعة الأنبار قسم اللغة العربية كلية الآد العدد الرابع المجلد الأول 2009 ص 354

[10] حسني عبد الجليل (الدكتور) المرجع السابق ص 139

[11] عبد الله االطيب (الدكتور) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها الطبعة الثانية الكويت 1989م 1/ 60

[12] أحمد الشايب السابق ص67

[13] عبد الله الطيب (الدكتور) السابق ص 88

[14] الأستاذ سعد بن عبدالله الواصل مَوْسُوعَة العروض وَالقافية كتاب الكتروني يبحث في علم العروض والقافية بمنتدى الكتاب الالكتروني الإسلامي http://adel-ebooks.mam9.com

[15] قدامة بن جعفر نقد الشعر ص 8

[16] ابن رشيق القيرواني العمدة في محاسن الشعر وآدابه ت محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل 73/2

[17] ياسر أحمد فياض (الدكتور) 358

[18] مهدي عناد أحمد قبها التحليل الصوتيّ للنصّ بعض قصار سور القرآن الكريم نموذجًا أطروحة استكمالية للحصول على درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها بكليّة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنيّة في نابلس، فلسطين.ص 12 2011

[19] ياسر أحمد فياض (الدكتور) السابق ص 354

[20] حسني عبد الجليل (الدكتور)السابقص 20

[21] مرتضى الزَّبيدي تاج العروس من جواهر القاموس تـ مجموعة من المحققين دار الهداية 418/34

[22] ابن الأثير المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تـ الدكتور احمد الخوفي دار نهضة مصر 20/3

[23] رشيد بديدة البنيات الأسلوبية في مرثية بلقيس نزار قباني مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في شعبة اللسانيات العامة جامعة الحاج لخضر باتنة 1432 هـ ص 78

[24] الجرجاني أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن دلائل الإعجاز ت-د.محمد التنجي ط الأولى ، 1995 دار الكتاب العربي – بيروت ص 96

[25] الأُمَيْمَة : (تَصْغِيرُ الأُمِّ) .....والعربَ حَذَفت تلك الهاءَ إذ أَمِنُوا اللَّبْس، ويقول بعضهم في تَصْغِير أُمٍّ : أُمَيْمَة ، والصوابُ * ! أُمَيْهَة تُرَدُّ إلى أَصْلِ تَأْسِيسها ، ومن قال أُمَيْمَة صَغَّرَها على لَفْظِها .والأُمَيْمَةُ :اثْنَتا عَشْرَة صَحابِيَّةً، وَهُنَّ : أُمَيْمَة أُخْتُ النعْمان بن بَشِير ، وبنتُ الحارث ، وبنتُ أبي حثْمَة ، وبِنْتُ خَلَفٍ الخُزاعِيَّة ، وبنتُ أبي الخِيارِ ، وبنتُ ربيعَةَ بن الحارث بن عبد المُطَّلب ، وبنت عبد بن بُجَاد التَّيْمِيّة ، * ! أُمُّها رُقَيقة أُخْتُ خَدِيْجَة ، وبنتُ سُفْيانَ بنِ وَهْبٍ الكِنانِيَّةُ ، وبنتُ شَراحِيل ، وبِنْتُ عَمْرو بن سَهْلٍ الأَنْصارِيَّة ، وبنتُ قَيْسِ بنِ عَبدِ الله الأَسَدِيَّة ، وبنت النُّعمان بن الحارِثِ ، . وأُمَيْمَة بنت أَبي الهَيْثَم ابن التَّيِّهان ، من المُبايِعات ، ! وأُمَيْمَة بنت النَّجَّار الأَنْصارِيَّةُ ، وأمّ أَبِي هُرَيْرَة اسمُها أُمَيْمَة ، رضي الله عنهنّ

[26] أحمد الدرويش (الدكتور) دراسة الأسلوبية بين المعاصرة والتراث دار غريب القاهرة ص 157

[27] أحمد الدرويش (الدكتور) المرجع السابق ص 154

[28] ياسر أحمد فياض (الدكتور) السابق ص 362

[29] رشيد بديدة المرجع السابق 105

[30] فضل حسن عباس البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع ط الثانية عشر دار النفائس 2009 م ص 187

[31] خديجة الحديثي أبنية الصرف في كتاب سيبويه مكتبة النهضة بغداد ط الأولى 1965 ص 395

[32] علي بن محمد بن علي الجرجاني التعريفات تـ إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، 1405 ه 1 /229

[33] ابن الأثير السابق تـ محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة العصرية - بيروت ، 1995 79/1

[34] عبدالقاهر الجرجاني (الإمام) دلائل الإعجاز تــ د.محمد التنجي الطبعة الأولى ، 1995دار الكتاب العربي – بيروت ص 66